

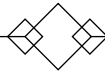
وفود البلدان الأعضاء  
يتشاورون في مؤتمر  
بريتون وودز عام ١٩٤٤



الصورة: ALFRED EISENSTADT/THE LIFE PICTURE COLLECTION/GETTY IMAGES

# دور صندوق النقد الدولي اليوم وغدا

لمواجهة التحديات المستقبلية، يجب أن يحصل الصندوق على دعم قوي من بلدانه الأعضاء  
مارتن وولف



«استقرار الأوضاع يتطلب  
إجراء تغييرات شاملة».

— جوزيبي توماسي دي لامبيدوزا،  
رواية «الفهد»

«ندرك الآن أن التعاون الدولي  
هو الوسيلة الأكثر حكمة وفعالية  
لحماية مصالحنا القومية — أي  
من خلال توحيد الجهود من أجل  
بلوغ الأهداف المشتركة».

— وزير الخزانة الأمريكية هنري مورغنثاؤ،  
الخطاب الختامي في مؤتمر بريتون وودز، ٢٢  
يوليو، ١٩٤٤

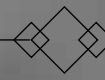
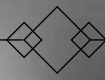
«الحماية ستؤدي إلى مزيد  
من الرخاء والقوة».

— الرئيس الأمريكي دونالد ترامب،  
خطاب التنصيب، ٢٠ يناير، ٢٠١٧

ويتمثل التغيير الأول والأهم في تحول ميزان القوى الاقتصادية، وبالتالي السياسية، العالمية. ففي عام ٢٠٠٠، بلغت مساهمة الاقتصادات المتقدمة في الناتج العالمي ٥٧٪، مقيسة على أساس تعادل القوى الشرائية. ولكن هذه النسبة ستتراجع إلى ٣٧٪ بحلول عام ٢٠٢٤ حسب تنبؤات الصندوق. وفي الوقت نفسه، سيقفز نصيب الصين إلى ٢١٪ مقابل ٧٪، بينما ستبلغ مساهمة بقية بلدان آسيا الصاعدة ٣٩٪ من الناتج العالمي، مقابل ١٤٪ في الولايات المتحدة و ١٥٪ في الاتحاد الأوروبي (راجع الرسم البياني ١).

وبالنسبة للتحويل الثاني، فيتمثل في اشتداد المنافسة بين القوى العظمى في ظل تدهور العلاقات بين القوى الغربية

**العالم يتغير.** والصندوق يتغير معه. ولكن السؤال هنا لا يرتبط فقط بالكيفية التي يجب أن يتغير بها الصندوق للحفاظ على أهميته، ولكنه يرتبط أيضا بما إذا كانت البيئة السياسية ستسمح له بالحفاظ على أهميته. ويقوم الصندوق على التزام بالتعاون بين بلدانه الأعضاء، غير أن هذا الالتزام لم يعد قويا كما كان. ولكن بلدان العالم قد تعيد اكتشاف أهميته، وستدرك حينها أن الصندوق يمثل أداة ثمينة. ولا يمكن للصندوق ضمان هذه النتيجة، لكن يمكنه، بل يتعين عليه، الاستعداد لها. وهذا هو ما يقوم به الصندوق بالفعل في الوقت الحالي، وهي خطوة يجدر الترحيب بها. إن العالم المحيط بالصندوق يتغير بالفعل، أو أخذ في التغيير، في عدة جوانب أساسية.



إحدى سمات هذه النزعة الشعبية في الشك في الخبرات التكنولوجية. ولا يؤثر ذلك على مصداقية المؤسسات التكنولوجية المحلية فحسب، بما في ذلك البنوك المركزية المستقلة ووزارات المالية، ولكن على مصداقية المؤسسات التكنولوجية الدولية أيضا، وربما يكون الصندوق أهمها.

ويتمثل التغير الرابع في تباطؤ العولمة أو انعكاس مسارها تماما. وينطبق ذلك خصوصا على بعض المجالات المالية، كالترجع الحاد في المطالبات الأجنبية لبنوك منطقة اليورو (راجع دراسة Lund and others 2017). ولكنه ينطبق على التجارة أيضا؛ فقبل الأزمة المالية التي وقعت عبر المحيط الأطلنطي، ارتفع حجم التجارة العالمية بضعف وتيرة ارتفاع الناتج العالمي تقريبا، بينما تنمو التجارة والناتج حاليا بالوتيرة نفسها تقريبا. بل شهد العالم مؤخرا صعود نزعة حمائية واضحة في الولايات المتحدة الأمريكية (راجع الرسم البياني ٢).

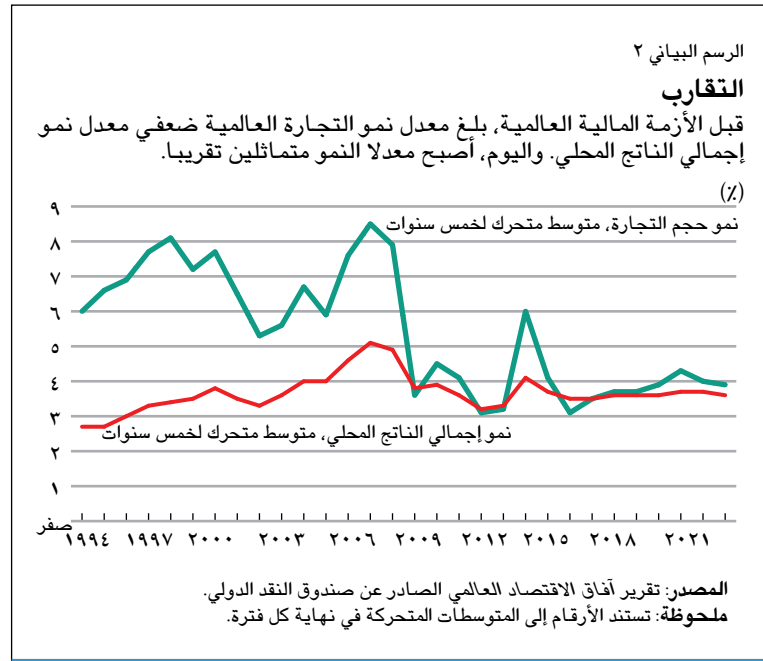
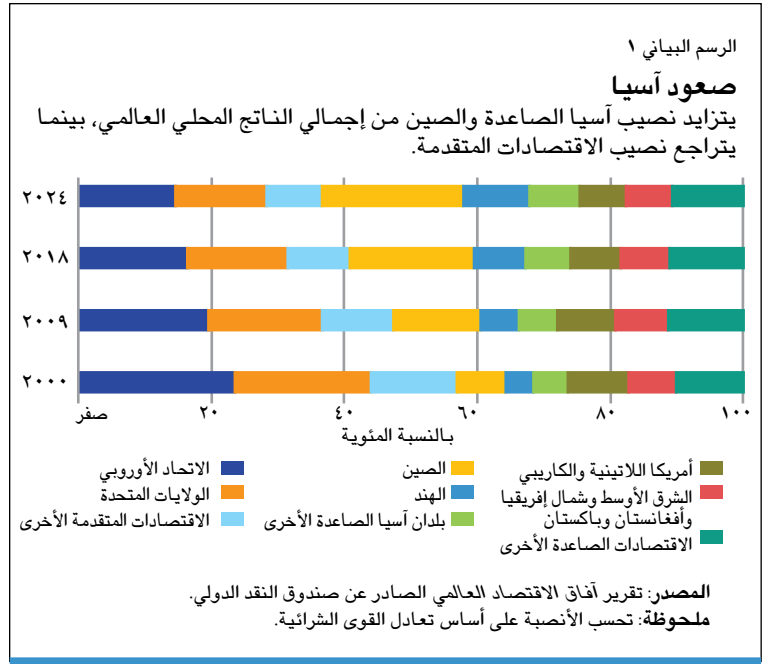
ويرتبط التغير الخامس بالتكنولوجيا. وقد كان التقدم التكنولوجي بمثابة القوة الدافعة وراء النمو الاقتصادي. ولكن دور الإنترنت والتطورات الأخيرة في الذكاء الاصطناعي ترتبت عليه مواطن ضعف واضطرابات جديدة، مثل الهجمات الإلكترونية والتحول الحاد في أسواق العمل.

أما التغير السادس فيتمثل في تفاقم مواطن الهشاشة في النظام المالي التي تراكمت عبر العقود. وقد بذلت جهود كبيرة للحد من هذه الهشاشة، لا سيما من جانب الصندوق. وبالرغم من ذلك، ارتفعت نسبة الدين إلى الناتج الإجمالي، وتحول الدين من القطاع الخاص إلى القطاع العام، ومن الاقتصادات المتقدمة إلى اقتصادات الأسواق الصاعدة إلى حد ما. ومن الممكن للغاية حدوث مزيد من الاضطرابات المالية (انظر الرسم البياني ٣).

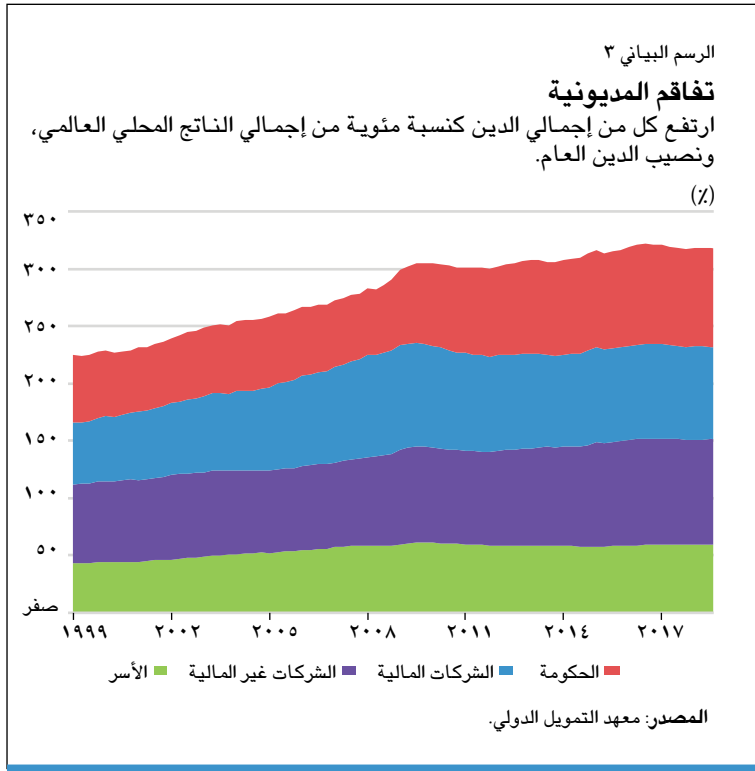
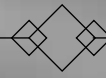
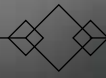
ويتمثل التغير السابع في الظاهرة التي سميت باسم «الكساد طويل الأجل» كما وصفها لورنس سامرز من جامعة هارفارد في مؤتمر الصندوق المنعقد عام ٢٠١٣. فضعف الطلب، كما يتضح من مزيج معدلات التضخم المنخفضة وأسعار الفائدة الحقيقية والاسمية شديدة الانخفاض، يبدو هيكليا ويرجع استمراره بالتالي. وقد يكون الحيز متاح للاستجابة الفعالة للهبوط الاقتصادي من خلال السياسات التقليدية — أو حتى السياسات غير التقليدية المعتادة — محدودا للغاية.

أما التغير الأخير، فيتمثل في تزايد أهمية تغير المناخ بوصفه إحدى قضايا السياسات. ويرجح أن يكون لذلك آثار مهمة على استراتيجيات التنمية والسياسات الاقتصادية الكلية في جميع البلدان، لا سيما البلدان الأكثر فقرا وتعرضا للخطر.

تخلق جميع هذه التغيرات بيئة زاخرة بالتحديات بالنسبة للصندوق الذي يتغير هو الآخر. وبالفعل فإن السمة التي طالما لازمت الصندوق تكمن في قدرته على التأقلم مع التغيرات المتتالية التي يشهدها العالم. ويعكس ذلك جزئيا المهارات الرفيعة التي يتمتع بها خبراء الصندوق وإدارته العليا التي عادة ما تضم أعضاء أكفاء.



والصين الصاعدة. وقد وصفت الولايات المتحدة الصين بأنها «منافس استراتيجي». أما الاتحاد الأوروبي، فوصفها فقط بأنها «منافس اقتصادي يسعى إلى قيادة المجال التكنولوجي». وفي الحالتين، يبدو من المؤكد أن التعاون سيصبح أكثر صعوبة. أما التغير الثالث، فهو عبارة عن تحول إلى السياسات الشعبية، لا سيما في الاقتصادات المتقدمة. وتتمثل



## يجب تعزيز القدرات المالية للصندوق بدرجة كبيرة، لا سيما في عالم تتدفق فيه رؤوس الأموال بحرية نسبية.

وقد يكون من المفيد تصدير صورة أقل صرامة عن الصندوق، لا سيما في ظل بيئة سياسية صعبة بالنسبة للمؤسسات المالية الدولية. كذلك كان عمل الصندوق ضروريا في بعض الجوانب، لا سيما دعم الوقود الأحفوري وتكلفة الفساد.

### التحديات القادمة

يتطلب استمرار العولمة التعاونية والحفاظ على دور الصندوق فيها إجراء تعديلات شاملة. وبعض هذه التعديلات يقع في نطاق سيطرة الصندوق، والبعض الآخر يتطلب إيجاد توافق عالمي جديد. وتتمثل إحدى المهام الداخلية الكبرى في فهم التحديات الفكرية التي يواجهها اقتصادنا العالمي غير المستقر. وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة إعادة النظر في السياسات النقدية والمالية العامة والهيكلية على مستوى العالم عموما وفي البلدان المؤثرة، وذلك في ظل أسعار الفائدة شديدة الانخفاض ومعدلات التضخم المنخفضة وارتفاع حجم الديون المفرطة والكساد طويل الأجل. فما الإجراءات التي يتعين على صناع السياسات اتخاذها في مواجهة الهبوط الاقتصادي القادم؟ وكيف ستدار عملية إعادة الهيكلة الشاملة للدين الخاص أو

غير أن الصندوق توقعه أيضا قدرته المحدودة على التأثير على الإجراءات التي تتخذها البلدان ذات موازين المدفوعات القوية أو الولايات المتحدة المصدرة للدولار الأمريكي الذي يمثل عملة الاحتياطيات العالمية. وهذه ليست بالقضية الجديدة، فقد اعترف بها مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤ — ولم تحل حتى الآن (راجع دراسة Steil 2013). ويرتكب الصندوق أخطاء هو الآخر، لا سيما بسبب تأثره بالفكر التقليدي للاقتصاديين المتخصصين والبلدان القوية. فقد أخفق في تقدير مخاطر التحرير المالي حق قدرها، سواء داخل البلدان أو خارجها. وحدث ذلك رغم تحذيرات راغورام راجان، المستشار الاقتصادي للصندوق خلال الفترة من ٢٠٠٣-٢٠٠٦، والتي ثبتت صحتها لاحقا.

### التعلم من الأخطاء

ولكن من المعقول أن نتوقع أن يتعلم الصندوق من أخطائه. وقد فعل ذلك من قبل. ففي أعقاب الأزمة التي وقعت عبر المحيط الأطلنطي، أعاد الصندوق تقييم أثر تخفيض الإنفاق الحكومي وزيادة الضرائب على النمو. كذلك تحسنت جودة رقابته على المخاطر المالية بدرجة كبيرة، سواء في تقريره البارزين، وهما تقرير الاستقرار المالي العالمي وتقرير آفاق الاقتصاد العالمي، أو في سياق عمله على البلدان الأعضاء. وفي خطوة مهمة، اعترف الصندوق أن تحرير التدفقات الرأسمالية عبر الحدود له مخاطره ومنافعه أيضا.

ولم تكن هناك إشكالية أكبر من أزمة منطقة اليورو؛ فقد وضعت الصندوق في موقف صعب اضطره إلى التعامل مع بنك مركزي وبلدان لا يخضعان لسيطرته. وعمل الصندوق مع مؤسسات منطقة اليورو على برامج قطرية نجحت إلى حد ما ولكنها انطوت أيضا على أوجه قصور ملحوظة، لا سيما في حالة اليونان. ونتج عن ذلك أيضا إصلاح إطار الإقراض الذي يطبقه الصندوق على البلدان ذات المديونية السيادية المرتفعة، وإلغاء الإعفاءات — في حالة الأزمات النظامية — من إجراء التقييم الإلزامي لاستمرارية القدرة على تحمل الدين كشرط للحصول على دعم الصندوق.

وتجدر الإشارة أيضا إلى زيادة تعاون الصندوق مع الدول الهشة. ويتطلب ذلك تطبيق نهج جديدة ومبتكرة لضمان تحقيق التحول السياسي والمؤسسي اللازم. وكانت هذه الخطوات بمثابة تحديث لجدول أعمال الصندوق الذي كان يهدف من خلاله إلى الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي الكلي. وانخرط الصندوق كذلك في عدد من التحديات الجديدة، مثل عدم المساواة في توزيع الدخل والثروات، وعدم المساواة بين الجنسين، والفساد، وتغير المناخ. وتخرج هذه التحديات عن اختصاصات الصندوق السابقة. ولكنها مهمة في حد ذاتها وبالنسبة لجماعات التأييد المهمة في البلدان الأعضاء، كما أن لها انعكاسات اقتصادية كلية مهمة.



## فهذا التداخل بين المهنية والرغبة في التعاون هو ما جعل الصندوق بمثابة حجر الأساس.

دولار أمريكي. ويتضح من هذا التفاوت عدم كفاية موارد الصندوق والتكلفة المتصورة لاستخدام هذه الموارد. وينطوي توسيع نطاق شبكة الأمان على مخاطر أخلاقية بالطبع. لكن المخاطر الأخلاقية لا تنتفي معها أهمية التأمين وأجهزة إطفاء الحرائق المالية والبنوك المركزية. وينطبق الأمر نفسه على الصندوق.

وأخيراً، تتوقف المصادقية العالمية للمؤسسة على عدم انفراد الأوروبيين دائماً بالمنصب الأول، حتى وإن كان بعضهم قد أثبت كفاءة بالفعل. فالمؤسسات العالمية في حاجة إلى أفضل القادة العالميين. وهؤلاء القادة ينبغي ألا يكون اختيارهم من خلال مفاوضات وتنازلات بهدف استقطاب تأييد واستحسان الغالبية العظمى، بل من خلال عملية تتسم بالانفتاح والشفافية، مع إلزام المرشحين بتقديم خططهم بشأن التنمية المستقبلية للمؤسسة.

### الرغبة في التعاون

كما قالت كريستين لاغارد، المدير العام لصندوق النقد الدولي، «كانت الأمم الأربع والأربعون المجتمعة في بريتون وودز عاقدة العزم على بدء مسار جديد — يقوم على الثقة المتبادلة والتعاون المشترك، استناداً إلى المبدأ القائل بأن السلام والرخاء يتدفقان من نبع التعاون، وإيماناً بتغليب المصلحة العالمية الواسعة على المصلحة الذاتية الضيقة». فهذا التداخل بين المهنية والرغبة في التعاون هو ما جعل الصندوق بمثابة حجر الأساس.

وربما تكون أهم سمة تميز الصندوق هي قدرته على التأقلم، وهي سمة سيحتاجها حتماً خلال السنوات القادمة. ولكنه سيحتاج أيضاً إلى عالم تؤمن القوى المهيمنة فيه بالقيم التي يجسدها الصندوق، ألا وهي: المهنية، وتعددية الأطراف، والأهم من ذلك، التعاون. وإن لم يمارس الصندوق عمله في مثل هذا العالم، فسيواجه العديد من الصعوبات. والصندوق في النهاية هو مجرد خادم للعالم يمكنه إرشاده لا تشكيله. ودائماً ما ستكون أوضاع الصندوق انعكاساً لأوضاع العالم. **FD**

**مارتن وولف** مساعد رئيس التحرير وكبير المعلقين الاقتصاديين في صحيفة فاينانشال تايمز.

### المراجع:

Lund, Susan, Eckart Windhagen, James Manyika, Philipp Härle, Jonathan Woetzel, and Diana Goldstein. 2017. "The New Dynamics of Financial Globalization." McKinsey Global Institute, New York.

Steil, Benn. 2013. *The Battle of Bretton Woods: John Maynard Keynes, Harry Dexter White, and the Making of a New World Order*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Truman, Edwin M. 2018. "IMF Quota and Governance Reform Once Again." PIIE Policy Brief, Peterson Institute for International Economics, Washington, DC.

السيادي — إذا ما أمكن تنفيذها؟ وهل ثبتت فعالية أي من المفاهيم غير التقليدية، مثل «النظرية النقدية الجديدة»؟ على الصندوق الانخراط بشكل أعمق في دراسة هذه الموضوعات استعداداً لمواجهة التحديات المستقبلية، وفي مجالات صعبة أخرى أيضاً، مثل الاقتصاد السياسي للموجة الحمائية، وأثر الذكاء الاصطناعي.

غير أن التحدي الأهم هو حتمية حفاظ الصندوق على أهميته بالنسبة لجميع بلدانه الأعضاء. والطريقة المعقولة الوحيدة للقيام بذلك هي إنتاج أعمال على أعلى درجة من الجودة الفكرية والنزاهة، لا سيما في مجال الرقابة. وقد يكون ذلك مصدر إزعاج لخبراء الرأي بالصندوق من وقت لآخر، ولكنه سيحافظ على سمعة الصندوق ونفوذه بين أعضائه. والسؤال هنا هو ما إذا كان الصندوق في حاجة لمزيد من الخبراء المتخصصين في سياسات التغيير؛ فمن الجيد أن ندعو إلى إلغاء الدعم، ولكن كيف سيتم تقبل الأمر؟ وسؤال آخر هو ما إذا كان ينبغي أن يستعين الصندوق بمزيد من الخبراء المقيمين في البلدان الأعضاء. لذلك فمن المنطقي إجراء مراجعة مفصلة لكيفية عمل الصندوق.

وتنشأ أهم التحديات المستقبلية التي سيواجهها الصندوق عن عالمنا المتغير. وتبرز ثلاثة تحديات في هذا السياق.

أولاً، ينبغي وجود اتساق بين حجم الأسهم التصويتية لكل بلد عضو وأهميته الاقتصادية. وفي الوقت الحالي، تمتلك بلدان الاتحاد الأوروبي الأعضاء (بما في ذلك المملكة المتحدة) 29,6٪ من الأصوات، والولايات المتحدة 16,5٪ من الأصوات، واليابان 6,2٪، وكندا 2,2٪. وفي المقابل، لا تمتلك الصين والهند سوى 6,1٪ و 2,6٪ على الترتيب. ولا تعكس هذه الأرقام على الإطلاق الوزن النسبي لهذه الاقتصادات. فالواقع أن الاقتصادات المتقدمة لا تزال تهيمن على النظام المالي العالمي، وتنفرد بإصدار جميع عملات الاحتياطي المهمة. ولكن ذلك لن يستمر على الأرجح. فحفاظ المؤسسات، مثل صندوق النقد الدولي، على أهميتها العالمي مشروط بتعديل الأوزان الترحيحية للأسهم التصويتية، لا سيما لصالح آسيا. وذلك اتساقاً مع الحجج المقنعة التي ساقها إدوين ترومان من معهد بيترسون للاقتصاد الدولي في دراسته Edwin Truman (2018). ولولم يحدث ذلك، ستقوم الصين حتماً بإنشاء مؤسسة محلية ماثلة لصندوق النقد الدولي، على غرار البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية وبنك التنمية الجديد اللذين أطلقتهما الصين بالفعل.

وثانياً، يجب تعزيز القدرات المالية للصندوق بدرجة كبيرة، لا سيما في عالم تتدفق فيه رؤوس الأموال بحرية نسبية. فطاقته الإقراضية لا تتجاوز حالياً تريليون دولار أمريكي. في حين تبلغ احتياطات النقد الأجنبي العالمية 11,4 تريليون